دراسات في إعجاز القرآن الكريم (٢)

محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وسراج منير

بقلم

م . د : حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية (سابقا)

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن هذه الدراسة هي الثانية تحت عنوان:

دراسات في إعجاز القرآن الكريم.

الدراسة الأولى بعنوان: نظرية لغوية جديدة في إعجاز القرآن الكريم.

وهذه الدراسة الثانية بعنوان: محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وسراج منير.

وهذا العنوان يشير في حقيقته إلى نعتين الذين هما من بين سبعة نعوت أكرم الله تعالى بها حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب المدنية الكريمة، في الآيتين الكريمتين الخامسة والأربعين والسادسة والأربعين. قال تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ وهذه النعوت السبعة هي كونه صلى الله عليه وسلم: ١- نبياً و٢- رسولاً و٣- شاهداً و٤- مبشراً و٥- نذيراً، و٦- داعياً إلى الله بإذنه و٧- سراجاً منيراً.

ومن البين أن عنوان هذه الدراسة يشير إلى نعتين اثنين، هما الثاني والسابع.

وبالنظر إلى هذا العنوان يتبين أنه يتألف من شقين اثنين. الشق الأول: محمد صلى الله

عليه وسلم رسول الله . والشق الآخر: وسراج منير.

ووراء كل من الشقين حكمة اقتضت اختياره. إن الحكمة وراء هذا الشق الأول: محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، هي أنه يشير إلى نعمة الرسالة، وهي كبرى نعم الله تعالى على محمد مصطفى من عباده جل وعلا، من بين النعم العظيمة، التي أنعم الله تعالى بها على البشرية المنعم عليهم الخمس، التي ذكرت في سورة النساء المدنية في آية بعينها، ذكر بعينها التاسعة والستين والمئتين. قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾ وهذه النعم مرتبة من الأعلى إلى الأدنى يليها هي على النحو التالي: المرسلون. ٢- النبيون ٣- الصديقون ٤- الشهداء ٥- الصالحون. ونكتفي هنا بالقول: إن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا.

وإن الحكمة وراء هذا الشق الآخر من العنوان: وسراج منير، هي أن هذا الشق الآخر من العنوان يشير إلى نوعين اثنين من المعاجم اللغوية. المعجم اللغوي العام الذي يتبنى استعمال اللغويين الذين اللفظين: "سراج" و: "منير" على كل من لسان العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم، ومن القرآن الكريم.

إنّ الاستعمال اللغوي واحدٌ من الموضعين إنّ السراج بمعنى الشمس، وإنّ الذي يتّضح من الشمس الضوء أو الضياء.

أمّا النوع الآخر من الاستعمال فهو المعجم الخاصّ بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم، وذلك بوصف سراج محمّد صلّى الله عليه وسلّم بأنّه سراج منير، وليس سراجاً وضيئاً. قال تعالى: ﴿يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ إنّ سراج محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وهو بمعنى الشمس، منير، وليس وضيئاً. وإنّ لفظ: «منير» يأتي من خلق القمر، فيقال في المعجم اللغوي: قمر منير.

وإنّ الكلمة من خلع صفة منير، المرتبطة بالقمر، لأنّه كوكب بارد يعكس ضوء الشمس الحارّ نوراً بارداً، إنّ الكلمة من خلع نور القمر البارد بدلاً من ضوء الشمس الحارّ، أنّ الآية الكريمة تخلع على محمّد صلّى الله عليه وسلّم خير ما في الشمس من قوّة وشمول، وذلك باستعمال لفظ: «سراج» كما تخلع عليه صلّى الله عليه وسلّم كلّ خير خالص، ونفع مطلق، باستعمال وصف القمر: «منير» فشمس محمّد صلّى الله عليه وسلّم لا يأتي منها إلّا الخير الكامل، والنفع المحض، لنور القمر. إنّ شمس محمّد صلّى الله عليه وسلّم منيرة، فلا يأتي من نوره صلّى الله عليه وسلّم أبداً أذى، وذلك كضرّة الشمس مثلاً.

إن هذه الدراسة بعنوان: محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وسراج منير، تبين هذا الحجم الذي خص به محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، كما تبين السياق الذي جاءت فيه هذه النعوت السبعة لمحمد صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب، كما تبين الملابسات المتعلقة بمظاهر إعجاز السورة الكريمة في ذكرها لهذه النعوت السبعة، من أسلوب القرآن الكريم المعجز، الذي يرضي كل عقل بفصوص حكمه، ويشبع كل نفس بانسياب ظاهرة التلاؤم النعوت فيه، بحيث لا يوجد إلا في القرآن الكريم.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل، ويتقبله، ويفتح له القبول، ويثيب عليه. آمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه
د. حسن محمد باجودة
أستاذ اللغة، أستاذ قرآنية لسانية (سابقا)
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

صبيحة يوم الأربعاء
غرة شهر رجب الحرام
سنة ١٤٤٦ هـ الموافق ١/١/٢٠٢٥ م

أساسيات

معلومات عامة

إنّ هذه المعلومات هي على النّحو التّالي

١- خبرة باسيم.
٢- الدّراسات السّابقة.
٣- استعراض الموضوعات الّتي عالجتها سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة.
٤- وقفة عند آيات القسم السّابع من سورة الأحزاب.

(١) فجرٌ باسم:

بفضل الله تعالى، كلُّ فجرٍ تعيشُ فيه مع القرآن الكريم، هو فجرٌ باسم. فكيف إذا كنتَ بفضل الله تعالى، قد عشتَ مع القرآن الكريم مدّةً تزيد على ثلاثةٍ وأربعين عامًا، وأنت تتأمّل كتاب الله تعالى في مشروع: تأمّلات في كتاب الله تعالى. درست فيها تسعَ عشرةَ سورةً غطّت أكثر صفحات أربعة عشر جزءًا من نصف عشرة آلاف صفحة، خلال مدّة تزيد على ثلاثةٍ وعشرين عامًا، وأنت كذلك تقوم بعمل التفسير البسيط لكامل القرآن الكريم في مشروع التفسير البسيط للقرآن الكريم في ثلاثين مجلدًا من نصف عشرة آلاف صفحة، خلال مدّة عشرين عامًا تقريبًا، لا شكّ أنّ كلّ فجرٍ هو باسم بفضل الله تعالى.

ولكنّ هناك فجرًا واحدًا، ليوم واحد، فاختصّ بتسمياتٍ كثيرة، وأرجّح أنّ هذا الفجر الباسم كان من أيام عام ألف وأربعمئة هجريّة، حينما كنتُ عاكفًا على كتابة: تأمّلات في سورة الأحزاب، وحينما كنتُ أتأمّل في فجر ذلك اليوم النعوت السبعة لحبّي صلّى الله عليه وسلّم في الآيتين الكريمتين الخامسة والأربعين والسادسة والأربعين من سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة، وهذه النعوت السبعة هي كونه صلّى الله عليه وسلّم نبيًّا، ورسولًا، وشاهدًا، ومبشّرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله تعالى بإذنه، وسراجًا منيرًا. قال تعالى[1]

(١) سورة الأحزاب ٤٥ و ٤٦

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾
لقد فتح الله تعالى عليّ في ذلك الفجر المبارك بفتح عظيم به في آيٍ يوم سابق ولاحق، إذ أكرمني في ذلك الفجر المبارك بكتابة زهاء ثلاث عشرة صفحة في التأملات، في سورة الأحزاب المدنية الكريمة، كما فتح عليّ بالكشف الجلي من نعت محمد صلى الله عليه وسلم بنعوته ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ وليس: سراجاً مضيئاً. فلمحمد صلى الله عليه وسلم معجمه اللغوي الخاص به في القرآن الكريم.

تفسير هذا الفجر المبارك:

وتفسير هذا الفجر المبارك هو أن كنت بفضل الله تعالى أتحرى صلاة الفجر في المسجد الحرام. فإذا لم يتيسر ذلك أتحرى الصلاة في مسجد الشيخ عبد الله الخليفي، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وهو المسجد الواقع أمام منزلي في حي العزيزية بمكة المكرمة. وفي هذا اليوم أديت صلاة الفجر في هذا المسجد. وقد جرت العادة أن أواصل الكتابة بعد صلاة الفجر، وعادة أمارس الكتابة في هذا الوقت في فناء منزلي على أريكة خشبية خاصة. وبفضل الله تعالى أخذت في كتابة التأملات، وذهب الظلام، وأشرق الضوء، وكانت أريكة الكتابة الخشبية تستنير من الشمس ببيتي. وأشرقت الشمس، وعلت الشمس، واشتد حرها، وذهب ظل بيتي، ووصلتني أشعة الشمس، وأحرقني حرارة

الشمس، وأنا لم أتحرك لإطفاء ضوء الشمعة، ولا لاستبدالها بالنسيمات الحارقة. وبفضل الله تعالى لا يتوقف العلم عن الكتابة، وتتوالى الاكتشافات العلمية، وتُنشر كل جديد في البحار المتتابعة. وبفضل الله تعالى تم نشر هذه الدراسات المباركة كتابة في ثلاث عشرة صفحة في المئات، كما ضبط الفتح من الله تعالى في صيغة الكتاب في الحكمة من مجيء نعته صلى الله عليه وسلم بأنه سراج منير، وليس سراجا مضيئا.

وإن هذه الدراسة المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم، تدور حول النعوت السبعة لمصطفى صلى الله عليه وسلم، ومنها كونه صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا، وليس سراجا مضيئا، هذا إلى دراسة بعض الآيات الكريمات السابقة واللاحقة التي تلزمت بدراستها. وكل هذا بفضل من الله تعالى يتم تحت عنوان: "محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وسراج منير".

(٢) الدراسات السابقة:

بفضل من الله تعالى ونعمته، تمت من ذي قبل ثلاث دراسات مختلفة، لسورة الأحزاب المدنية الكريمة، وقد تمت في كل دراسة التعرض لهذه المعجزة القرآنية، المتجلية في نعت السورة الكريمة له صلى الله عليه وسلم بأنه سراج منير، وليس سراجاً مضيئاً. وهذه الدراسات الثلاث هي على النحو التالي:

أ - تأملات في سورة الأحزاب، وهي الدراسة الثانية عشرة في سلسلة تأملات في كتاب الله تعالى التي غطت حتى يتسق عشرة سورة كريمة.

ومخطوط هذه الدراسة يقع في ١٢١ ثمانية وإحدى وعشرين صفحة. وقد تمت كتابة المقدمة بتاريخ ١٤٠١/٩/٩هـ وقد تمت كتابة الدراسة الحادية عشرة السابقة عليها بتاريخ ١٣٩٩/١٢/١هـ وذلك يعني أن تأملات في سورة الأحزاب استغرقت زهاء اثنين وعشرين شهراً. وكان حظ دراسة معجزة وصف محمد صلى الله عليه وسلم بأنه سراج منير موفوراً.

ب - دراسة سورة الأحزاب في التفسير البسيط للقرآن الكريم في الجزءين الحادي والعشرين والثاني والعشرين. في الجزء الحادي والعشرين تمت دراسة السورة الكريمة حتى نهاية الجزء الحادي والعشرين (١) وذلك في الصفحات من ٢٩١ إلى ٣٧٩ وقد كتبت المقدمة بتاريخ

(١) من مطبوعات وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. مكة المكرمة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

تمت دراسة بقية السورة الكريمة من المقتطفات (١) من ٩ إلى ٥٩ وقد كتبت المقدمة بتاريخ ١١/٢/١٤٢٠هـ الموافق ٢٦/٤/١٩٩٩م (١)

- لمحات من إعجاز سورة الأحزاب، دراسة مطبوعة في سلسلة دعوة الحق بر ابطة العالم الإسلامي (٢) وتقع في ١٥٨ صفحة وثمان وخمسين صفحة من القطع الصغير.

وكل دراسة لها خطرها من ضوء ما ذكر فيها من الحديث عن معجزة القرآن الكريم بشأن القول: وسراجا منيرا.

وهذه الدراسة الرابعة بعنوان: محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وسراج منير، ستشتمل بإذن الله تعالى، على زبدة كل تلك الدراسات.

والله تعالى المستعان، وعليه التكلان.

(١) من مطبوعات وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. مكة المكرمة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(٢) من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ١٩٩ السنة العشرون العام ١٤٢٣هـ

(٣) استعراض الموضوعات التي عالجتها سورة الأحزاب:

إن محور سورة الأحزاب المدنية الكريمة، الأمانة. أداءً أو تضييعًا، أو المسئولية، اجتماعًا أو إحجامًا. وقد نصت على هذا المحور، وتحدثت عنه الآيتان الكريمتان في ختام السورة الكريمة. قال تعالى (١) ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان. إنه كان ظلومًا جهولًا. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات. وكان الله غفورًا رحيمًا﴾

وقد أمكن تقسيم السورة الكريمة إلى سبعة موضوعات، هي بإيجاز:

١- يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين، واتبع ما يوحى إليك، وتوكل على الله. الآيات (١-٣)

٢- ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يتقلب بهما، وما جعل الزوجات اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل الأدعياء أبناءكم. (الآيتان ٤ و ٥)

ومن أهم ما يلاحظ هنا القضاء نظريًا على ظاهرة التبني بما ترتب عليها من أذى كثير، ثم تقضي السورة الكريمة على ظاهرة التبني عمليًا في شخص محمد صلى الله عليه وسلم حينما يأمره الله تعالى بأن يتزوج زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، مطلقة متبناه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه.

---

(١) سورة الأحزاب ٧٢ م ٧٣

خلافا لعادة العرب الفاسدة، التي تُنزّل المُتبنّى منزلة الابن من الصُّلب. إنّ محمدا صلّى الله عليه وسلّم، يمتثل أمر الله تعالى فيتزوّج زينب بنت جحش التي طلّقها زيد، بعد أن امتثل أمر الله تعالى بأن ذهب وخطب زينب بنت جحش البكر لأخيه وصديقه زيد بن حارثة.

٣ - منزلة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زوجة بين المؤمنين والمؤمنات، وزوجاته أمّهات المؤمنين، وأولو الأرحام أحقّ بالميراث. الآيات ٦-٨

وقد أوصلت الآية الكريمة السادسة إلى آيات الميراث الثلاث في سورة النساء، الحادية عشرة، والثانية عشرة، والسادسة والسبعين بعد المئة. إنّ هذه الآيات الكريمات تستثني كلّ صور الميراث السابقة المُوقّتة من إيمان، وهجرة، ومؤاخاة، وحلف. وقد أشارت إلى الميراث بالحلف الذي قضى عليه الإسلام لاحقا الآية الثالثة والثلاثون من سورة النساء الكريمة.

٤ - غزوة الأحزاب أو الخندق. الآيات (٩-٢٥)

ومثلما أوصلت هذه الآيات الكريمات لكون غزوة الأحزاب من أشقّ الغزوات على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلى المؤمنين، وممّا أوصلت إليه كذلك أنّ لنا نحن المسلمين في رسول الله تعالى أسوة حسنة، في كلّ شأن من شئوننا. بما في ذلك في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى.

٥ - غزوة بني قريظة الآيتان (٢٦ و٢٧)

٦ - زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يخترن الله تعالى ورسوله والدار الآخرة: الآيات ٢٨ - ٣٥

إن النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوتي الأحزاب وبني قريظة أصبحت له الكلمة الأولى في جزيرة العرب، وقد أراد زوجاته صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، أن يكون لهن نصيب من الدنيا مثل زوجات كسرى وقيصر. وإذ لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم شيء مما من حطام الدنيا، فإنه صلى الله عليه وسلم آثر وأقسم بالله تعالى الجليل العظيم أن يهجرهن شهرا. وبعد انتهاء الشهر أنزل الله تعالى في سورة الأحزاب آيات التخيير لهن: إن كن يردن الحياة الدنيا وزينتها، فإنه صلى الله عليه وسلم يطلقهن طلاقا جميلا، ويعطيهن متعة الطلاق. أما إذا أردن الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والدار الآخرة، فإن لهن عند الله تعالى الأجر العظيم، والثواب الجزيل. وقد اخترن كلهن، رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، بتلاوة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، اخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة.

وتستمر الآيات الكريمات فتذكر نعوت أمهات المؤمنين ولهن الأسوة الحسنة للمؤمنات، وتبين أن الله تعالى لطيف الخبير صوالذي اصطفاهن زوجات لخاتم رسله صلى الله عليه وسلم. ثم يذكر السياق عشرة نعوت يتسم بها المؤمنون والمؤمنات.

٧. محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وخاتم النبيين ، وسراج منير. الآيات ٣٦-٤١

الآيات الكريمات من سورة الأحزاب الكريمة من السادسة والثلاثين إلى الثامنة والأربعين عبارة عن كتلة معنوية واحدة، وهي كلها في خدمة نعت محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بأنه سراج منير، وليس سراجا مضيئا. ونحن نلتفت هنا بالإيماء إلى هذه الآيات الكريمات، وسنكون بإذن الله تعالى مبينين في دراستنا المتأنية لها لاحقا، إن الآيات الكريمات تقرر أنه ما صح لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ما قضى الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. كما أن الآيات الكريمات تبين نعمة الله تعالى على زيد بن حارثة بهدايته إلى الإسلام، ونعمة محمد صلى الله عليه وسلم على زيد بالعتق. كما تتضمن أشد آيات العتاب وقعا على محمد صلى الله عليه وسلم. إن الله تعالى أوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم ببعض الغيب، وإن من هذا الغيب خصا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أخفاه صلى الله عليه وسلم وقتا من الأوقات، لكي يظهره في وقت لاحق. وإنما أخفى محمد صلى الله عليه وسلم في نفسه ما الله مبديه وأوحاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بأن زيدا مولاه سيتزوج ابنة عمة محمد صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، ثم تسوء العلاقة بينهما، وبعد عام وبعض عام سوف يطلق زيد زينب بنت جحش، وبعد انتهاء عدتها سيتزوجها

محمد صلى الله عليه وسلم، وستصبح أمًّا للمؤمنين.
إن زيدًا حينما جاء محمدًا صلى الله عليه وسلم يخبره
بأنه سيطلق زينب بنت جحش أخفى في نفسه
ما الله تعالى مبديه من حدوث الطلاق وزواج
صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش. إن محمدًا صلى
الله عليه وسلم خشي الطاعنين أن يقولوا: تزوج
محمد مطلقة متبناه زيد بن حارثة، والله تعالى
أحق أن تخشاه، فزيد ليس ولدك من صلبك
وإنما هو متبنّاك. وهكذا تزوج الله تعالى من
فوق سبع سماوات محمدًا من زينب. وكما أباح الله
تعالى زواج نبيه صلى الله عليه وسلم مطلقة متبناه،
أباح الله تعالى ذلك لكل المؤمنين. إن محمدًا صلى
الله عليه وسلم يفعل ما يوحي الله تعالى به، وكذلك
المرسلون ليسا يقون. إن محمدًا صلى الله عليه وسلم
ما كان أبا أحد من رجال المسلمين، ولم يبلغ واحدًا
من أبنائه مبلغ الكمال، فقد مات الذكور جميعهم صغارًا.
إن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله تعالى، وخاتم
النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة. وكان الله تعالى
بكل شيء عليمًا.
وتأمر الآيات الكريمات الذين آمنوا أن يذكروا الله
تعالى ذكرًا كثيرًا، بكل الجوارح، وفي كل الأوقات والأحوال.
وأن يسبحوه جل وعلا وأن يتنزهوه في كل الأوقات.
إن الله تعالى هو الذي يصلي عليكم أيها المؤمنون، يثني
عليكم ويرحمكم، وإن الملائكة الأطهار تصلي عليكم

و تستغفر الله تعالى لكم، ليخرج الله تعالى المؤمنين
و المؤمنات من ظلمات الضلال و الجهل، إلى نور الهدى
و العلم. و كان الله تعالى رحيما بالمؤمنين، رحمة خاصة بهم.
و تحيتهم يوم يلقون الله تعالى
من الآخرة سلام، قولا من رب رحيم، على لسان الملائكة
الأطهار، هذا إلى أن السلام تحية بعض المؤمنين
بعضا في الجنة. و قد أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة
أجرا عظيما.

ثم تأتي الآيات الرمضان برقم ٤٥، ٤٦ و فيها ذكر
سبعة من نعوت محمد صلى الله عليه وسلم، تتوج
بأنه سراج منير. و هذه النعوت السبعة هي:
١- نعمة النبوة ٢- نعمة الرسالة ٣- محمد صلى الله
عليه وسلم هو الشاهد ٤- و المبشر ٥- و النذير.
٦- و الداعي إلى الله تعالى بإذنه ٧- و السراج المنير.
و يؤمر صلى الله عليه وسلم بأن يبشر المؤمنين
بأن لهم من الله فضلا كبيرا، في الجنة، التي فيها ما
لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.
كذلك يؤمر صلى الله عليه وسلم بأن لا يطيع الكافرين
و المنافقين، و أن يدع أذاهم و يتركه، و أن يتوكل
على الله تعالى وحده لا شريك له. و كفى بالله تعالى
وكيلا و حافظا، يغني عن كل وكيل و حافظ.

٨- أحكام عامة للمؤمنين، و أحكام خاصة بالنبي صلى الله
عليه وسلم الآيات ٤٩-٥٢

٩- الله تعالى و ملائكته يصلون على النبي فصلوا

عليه أيها المؤمنون وستكمل ، و يتوعد أيها الناس المؤمنين و المؤمنات الآيات ٥٣ - ٥٨

و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و إثما مبينا ، و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ، و الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا ، الآيات ٥٧ - ٦٤

و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و إثما مبينا ، و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ، الآيات ٥٧ - ٦٤

١١ - ثواب المؤمنين و المؤمنات الذين يطيعون الله و رسوله عظيم ، و عذاب المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات أليم ، الآيات ٦٩ - ٧٣

و كما كانت آيات القسم السابع الثلاث عشرة تتضمن النعوت الستة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، و تتوج النعوت بأنه صلى الله عليه وسلم سراج منير ، فإنا بإذن الله تعالى سنقف عند هذه الآيات الكريمات وقفة خاصة ، و نبين ما تحتاج إلى تبيين .

٤- وقفة عند آيات القسم السابع من سورة الأحزاب:

أ- أولى آيات القسم السابع الكريمات. قال تعالى (١): ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾

وأقول ما لعلّه أن تشير إليه، وهو أن هذا الموضع من سورة الأحزاب، المدنية الكريمة، الذي يتحدث عن أزواج النبي عائشة رضي الله تعالى عنها، وزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، وتطليق زيد لها وانقضاء عدتها، ثم تزويج الله تعالى من فوق سبع سماوات لزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا الموضع كان غرضا لأعداء الله تعالى الذين جاءت أقلامهم كل قبيح، وكذبت ألسنتهم في هذا الموضع أقلام عدد من المفسرين والمتعلمين المسلمين المشهود لهم بالصدق والأمانة والتقوى. ونحن هنا بشأن هذين الفريقين نكتفي بإيماء إلى أقلام ستبقى الطوية، وأقلام حسنى النية، ونكتفي كذلك بتقديم التفسير الصحيح بإذن الله بتواطؤ التي تعرى المفترون والحاقدون أعناق معانيها، وبملاحظة ما جاء في هذه الآية الكريمة السابقة على الآيات التي خطابها لنبينا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (٢) ﴿وتخفي في نفسك

---

(١) سورة الأحزاب ٣٦

(٢) سورة الأحزاب ٣٧

يا الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾

ونبدأ الآن في تفسير الآية الكريمة، والله تعالى المستعان، وعليه التكلان.

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة وإذا قضى الله تعالى أمرا وقضاه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن يكون لهم حق الاختيار (١) بالقبول أو الرفض، إن على كل مؤمن ومؤمنة أن يقبل ما قضى الله تعالى به، وقضى رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون راضيا تمام الرضا بما قضيا. ويستوي في هذا الأمر زينب بنت جحش وأخوها عبد الله رضي الله تعالى عنهما، وكل مؤمن ومؤمنة. إن زينب وأخاها نزلت فيهما هذه الآية الكريمة أساسا، وإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

سبب النزول

لقد جاء في السبب في نزول الآية الكريمة روايات في العديد من المصادر (٢) ونحن نود أن نعتبر من محتوى هذه الروايات في هذه المصادر.

إن الله تعالى يوحي لعبده محمد صلى الله عليه وسلم

(١) الجار والمجرور.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٢/١٠ وتفسير ابن كثير ٧/٤١٧-٤١٩ وأسباب النزول للسيوطي ٢٧٤ والبحر المحيط ٧/٢٣٣ وتفسير القرطبي ٨/٦٥٢٥ والكشاف ٣/٥٣٩

بالزواج والأمر وبالنواهي فيما يمتثل. وقد أراد الله تعالى أن
يقضي على ظاهرة التبني عند العرب، وهذه الظاهرة كثر
فسادها إذ تنزل العربي الابن المتبنى منزلة الولد من
الصلب، فزالت من العرب وحل محله. والطلاق
على المحارم، بالرغم ذلك من الفساد. وقد قضت السورة
الكريمة نظريا على هذه الظاهرة، وذلك في الآيتين الكريمتين
الرابعة والخامسة، وقد شاء الله تعالى أن يقضي عمليا
على هذه الظاهرة الفاسدة، وعلى مضارها فساد وما ضمنه
المتبنى من الزواج من مطلقة متبناه الذي نزله العرب
منزلة الابن من الصلب. لقد تم القضاء العملي على هذه
الظاهرة الفاسدة بتزويج الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم من خوقت سبع سماوات بالمطلقة مولاه
وحبيبه زيد بن حارثة زينب بنت جحش
ابنة عمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد امتثل محمد صلى
الله عليه وسلم أمر مولاه جل وعلا فتزوج زينب بنت
جحش الثيب، وقبل ذلك قد امتثل محمد صلى الله عليه
وسلم أمر مولاه جل وعلا بأن يذهب بنفسه إلى زينب
البكر، فيخطبها لمولاه زيد بن حارثة. لقد خطب صلى الله
عليه وسلم إليها شخصيا، وذلك قبل نزول آية الحجاب،
وقبلها لمولاه زيد بن حارثة، وأقنعها، ورضيت
آخرا، ورضي أخوها عبد الله. وتزوج زيد زينب
فعلا، وعاشرها معاشرة الأزواج.
إن هذه آسباب النزول تبين كل هذه
الروايات بوضوح، وهذا موجز تلك الروايات.

أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يذهب ويقابل زينب بنت جحش، وذلك قبل نزول آية الحجاب ويخطبها لمولاه ومتبناه زيد بن حارثة. امتثل محمد صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، وذهب إلى زينب بنت جحش البكر ذات الحسب والنسب، فهي بنت عمة محمد صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب (١) وكان عمرها آنذاك ستة وثلاثين عاماً (٢) فظنت زينب أول الأمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء إليها من أجل أن يخطبها لنفسه ففرحت (٣) وحينما علمت أن رسول الله عليه وسلم جاء من أجل أن يخطبها لمتبناه زيد بن حارثة، استنكفت هذا الزواج واستنكفه أخوها عبد الله (٤) فزيد كان مسترقاً، سترقه بعض قطاع الطرق، وزيد ضع العربي الصميم، ولكن الذين سترقوه باعوه رقيقاً في سوق عكاظ (٥) وأخيراً وصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعثة (٦) علم أبوه وعمه بموضعه، فقدما على محمد صلى الله عليه وسلم، وعرضا عليه الفداء مقابل إعتاق زيد، فخير محمد صلى الله عليه وسلم زيداً بين الذهاب

---

(١) فتح الباري ٨/٢٥٣.

(٢) انظر ضا الإعلام ٣/٦٦ والإصابة ١/٣١٤ في ترجمتها وتفسير القرطبي ٥٤٨.

(٣) تفسير القرطبي / ٥٦٨

(٤) انظر تفسير القرطبي ٥٦٨

(٥) الإصابة ١/٥٦٣، ٥٦٤

(٦) الإصابة ١/ ٥٦٣

مع أبيه وعمه، وبين البقاء معه. فآثر زيد محمداً بسبب خلقه العظيم، وَرَغَضَ العتق والذهاب مع والده وعمه. أعتق محمد زيداً، وتبناه، وأصبح يدعى: زيد بن محمد (١). ظل الأمر كذلك حتى نزل حكم الله تعالى في سورة الأحزاب بأن ينتسب المتبنى إلى أبيه وليس إلى متبنيه، فأصبح يُدعى زيد بن حارثة (٢).

هذه الملعان كانت تعلمها زينب بنت جحش، فأخبرت عمر رفض زوجها لها، وألح محمد صلى الله عليه وسلم في طلبه، وطال المقال والمقام، وفي أثناء ذلك أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم الآية الكريمة التي نحن بصددها، فأدركت زينب وأدركت أخوها أن محمداً صلى الله عليه وسلم جاء ليخطبها لزيد بتوحي من الله تعالى، فرضيت بأن تتزوج بزيد ورضي أخوها عبد الله، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ونستمر الآيات الكريمات بعد ذلك في بيان بقية الأحداث. ومما له علاقة بهذا الزواج أن الله تعالى أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم بأن زيداً سوف يطلق زينب، وبعد انقضاء عدتها سيزوجها الله تعالى من فوق سبع سماوات محمد صلى الله عليه

---

(١) انظر الإصابة ١/ ٥٦٣، ٥٦٤.
(٢) الإصابة ١/ ٥٦٣.

وسلم.

وربما كان مفيداً أن نقف على بعض المعلومات بإيجاز عن زينب بنت جحش التي تعرف صلى الله عليه وسلم معرفة كاملة، فهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب. ولو كان صلى الله عليه وسلم راغباً في الزواج بها لخطبها، وهي التي فرحت حينما جاءها النبي صلى الله عليه وسلم وظنت أول الأمر أنه جاء ليخطبها لنفسه.

فزينب ولدت سنة ثلاث وثلاثين قبل الهجرة وتوفيت سنة عشرين هجرية (١) بعمر نحو ثلاث وخمسين سنة (٢) وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سنة خمس من الهجرة (٣) أي أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بها حينما كانت في الثامنة والثلاثين من عمرها رضي الله عنها. وكانت أول نساء النبي صلى الله عليه وسلم موتاً بعده (٤) إن زينب قد تزوجت زيد بن حارثة حينما كانت في السادسة والثلاثين من عمرها. فقد مكثت مع زيد سنة أو نحوها، يضاف إلى ذلك عدة طلاقها من زيد. إنا نذكر هذه الحقائق كي نقذف حجارة في أفواه الناعقين الذين تطاولوا على مقام صلى الله عليه وسلم، فزلت أقلامهم بسوء نية، أو غفلة.

---

(١) انظر صفة الصفوة ٢/٣٦ والإصابة ٤/٣١٤ وتفسير القرطبي ١٤/٥٢٤٨

(٢) الإصابة ٤/٣١٤

(٣) انظر الإصابة ٤/٣١٤ وفتح الباري ١٣/٤٠٤ حديث رقم ٧٤٢١

(٤) الإصابة ٤/٣١٤

ب: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾

إن محمداً صلى الله عليه وسلم ينفذ ما يوحى به الله تعالى له دائما.

إن الآيات الكريمات بعد ذلك تبين تفصيل تلك الأمور.

وهنا نحن أولاء نتحول إلى الآية الكريمة التالية.

قال تعالى (١): ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا. وكان أمر الله مفعولا﴾

الله أعلم، والله تعالى أعلم. واذكر يا محمد إذ تقول (٢) للذي أنعم الله عليه بالإسلام وتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام (٣) وأنعمت عليه يا محمد بالعتق من الرق (٤) فقد كان زيد بن حارثة من سبي الجاهلية، استراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (٥) أمسك عليك زوجتك زينب بنت جحش وتعلق بها واحفظها (٦) واتق الله في أمرطلاقها (٧) وخف

(١) سورة الأحزاب ٣٧

(٢) تفسير الطبري ٢٢/١٠

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٤١٩

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٢/١٠ وترجمة زيد في الإصابة ٥٦٣/١ وتهذيب الأسماء واللغات ٢٠٢/١

(٥) الجلالين.

(٦) مفردات ١٣/١ غريب الألفاظ في: «أمسك» ٦٠٦/٤

(٧) الجلالين